قال جل علاه (انما يخشى الله من عباده العلماء) لان العالم وهو العارف به دائماً منكسر القلب من أجله فهو عنده بمرأى ومسمع فيأذن بحرب من آذاه أو عاداه وقد قال في الحديث القدسي : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فلا يقر للعالم قرار حتى ينعم عليه بالرؤية التى هى أفضل النعم فتتم معرفته بربه وينجبر به كسر قلبه فالعارف وهو العالم على الحقيقة بكون العوالم تدعو الخلق للحق وتدل عليه هو دائماً بحسن ظنه بالله لا يحتقر شيئاً في الوجود فهو من عبيد الحضرة المخلصين فله منه مامنه اليه بمقتضى أنا عند ظن عبدى بي فليظن بى ماشاء والعبد دائماً يحفظ أوامر مولاه ويجتنب نواهيه وذلك من نتائج معرفته والا كان في رتبة الجاهل الراضى عن نفسه وأي علم لعالم يرضى عن نفسه فهو لاشيء في صورة الشيء قد استولت على روحه اكدار العالم السفلى ولولا كمال درجة الرحمة الواسعة لما ستر الحق هذا الجاهل الذى هو فى صورة العالم في الحين وفضحه بين العالمين فروحه متكدرة تخفيت عنها لطيفة الحق فكان عن ذلك من الغافلين بخلاف الجاهل صورة وهو فى الحقيقة من العارفين لانه باستعمال الحق له في عبادته كان من زمرة العالمين ، وقد قيل ما اتخذ الله ولياً جاهلا الا وعلمه فتقوت روحه للحوق بالعالم العلوي وتحقق باللطيفة الممتدة له من حضرة الحق التي لافناء لها وهى من

الخزائن المشار لها من الجود المفاض على ما كان وما يكون من رب محمد صلى الله عليه وسلم المخاطب فى مقام التذكير بقوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فاضافه اليه هنا كما أضافه في الآية الاولى اعتناء به وتنويهاً بشأنه لاعطائه الربوبية حقها بتحققه بالعبودية الذى ذكرها فى مقام التنزيه حيث حصل له الانس باكرامه بالاضافة الى الرب الكريم ولولا ان الحق تعالى عقب الجلال بالاكرام فى هذه لاية لاضمحل الكون عند ذلك الخطاب لان قابلية غير النور المحمدي لاتقبل الوقوف أمام هذا الخطاب عند سماع لفظة الجلال ولكن الحق تعالى اكرم الخلق فكان قيامهم بوجود اكرامه وجاء الخطاب الجلالى بعد فتور قوة النور المحرقة بتلقى الوحي على لسان هذا الرسول الكريم عليه السلام بعد ماقواه الحق لحمل ثقل الوحي المنوط بالجلال فآنسه بذكر ربه وهو متحقق به في سره فقدر على حمل الجلال عند مخاطبته بقوله تعالى ويبقى وجه ربك فكان الجلال بين رب كريم لنبى كريم وبين اكرام واقع فى الدنيا ومتوقع في الاخرى وهو لامحالة واقع لان الوصف قاض بوعد الموصوف به فليس بذى جلال من يبقى معه غيره وليس بكريم من لم يتصف بالاكرام الدائم الذى يقضى بعدم السلب فى دار البقاء لما تطلبه الحقائق كما أشرنا اليه والى هذا الاكرام يرجع

نفس الايجاد والامداد اللذين لم يخل عنها مكون ولولا اتصاف الحق بالجلال لاستمر الخلق فى هذه الدار الدنيوية ولكن كون الحق هو الاول والآخر اقتضى أن يكون متصفاً بالجلال حتى يتحقق بحقية كونه آخراً فى مقام مخاطبة نفسه بنفسه ويجيب نفسه بنفسه في اليوم الذى يقول فيه ، لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار وهو وان كان عالماً بذلك لكن التحقق به فى حق المحق في هذه الحياة المصدق بما أنزل من الحق فهو يعتقد انه لا بد من ذلك على الوجه المذكور فكانه قد وقع ولولا ان الحق تعالى في ذلك اليوم يكشف عن سبحات وجهه التى يضمحل عندها كل شيء لكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المجيب ولا يقف مع الجلال المحض شيء وفاء بما أخبر به بلسان الصدق كما أن المحق المصدق بما أنزل يتحقق بعد الاعادة بأن الحق خاطب نفسه بنفسه فى ذلك اليوم فيحصل له التمتع الدائم بعد الاعادة المشار لها بلذة العبودية المحضة من غير حصول غلط في الرب المنعم عليه لكون المنعم عليه في تلك الدار يتحقق بمقام المعرفة بربه بلا شك فيه يعتريه وان كان هناك تفاوت فالمقامات على قدر ما المرتقى فيها من المعرفة التى كانت لصاحبها فى دار الدنيا ولا أكمل من التحقق بمقام العبودية لانه كلما ارتقى فيها المتحقق بها كملت معرفته ودعته المقامات للترقى فيها حساً ومعنى ولذلك كان

التنويه للنبي صلى الله عليه وسلم بالوصف بها عند الاسراء به فى مقام الحس الى مقام لم يكن لغيره الرقى اليه فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) ورفع سبحانه الحجاب عن العارفين فيما يتوهم من الرفع الى مكان بالدنو الحسى فاتى من أول وهلة بما يقتضى التنزيه فقال سبحان فهو منه تعالى تنزيه لنفسه عن الجهة والمكان وعن كل مايقتضى الحلول وغير ذلك مما لا يليق وصفه تعالى به فكان اسراؤه برسول الله لاتمام نعمته عليه بوصف العبودية المنوه بشأنها بتحققها فى حقه بشهادة الحق له بذلك وأتم النعمة على العالم العلوى بالتعرف به فى تلك الحضرات التى دخلها وصعد فى مراقيها حتى انفرد بمقام لم يتقدم فيه سواه وكاد أن يداخله من وحشة الانفراد من هيبة الجلال مالم يعهده فى خلواته لا بغار حراء الذى كان يتحنث فيه الليالى ذوات العدد بكمال وجد تشوقاً لما يرد عليه من الحق بواسطة وبلا واسطة وهو في قومه غريب ولا بالغار الذى كان معه الصديق الذى حصل له الانس به حين سمع خطابه فى هذا المقام الذى لم يحل فيه غيره فكان ابو بكر رضي الله عنه مذكوراً فى هذه الحضرة اكراما للحق له على مصاحبته لهذا النبي الكريم فى الغار الذى كان فيه الانس به بعد انعام الحق عليه بالشهادة له بالصحبة في قوله تعالى (اذ يقول لصاحبه) وهو ابو بكر فتمت بذلك

مزية أبي بكر فكان المقدم على غيره فى الفضل بما وقر فى صدره كما ورد بذلك الحديث الذى نصححه فى مذهبنا فى هذا المعنى وان تكلم فيه المحدثون على حسب مالديهم من الاصطلاح فكم من حديث أبطلوه عندهم وهو في الحقيقة صحيح وكم من حديث باطل وهو لديهم بحسب الاصطلاح صحيح ونحن نبرهن على صحة هذا الحديث فانه لم يصادم أصلا من أصول الدين فان أهل السنة قاطبة مجمعون على ان أبا بكر هو أفضل الصحابة وهو أول الخلفاء الراشدين المرتب فضلهم ترتيب خلافتهم ولا شك ان التفضيل موهبة من الحق وهى هنا شئ زائد على الفضل الذى يحصل باداء المفروضات والاكثار من الطاعات واجتناب النهيات وما ذلك الا بما وقر فى صدره كما قال عليه السلام مافضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام وانما فضلكم بشئ وقر فى صدره ولم يصرح بما وقر فى صدره ليأخذ كل عارف منه على قدر مافتح به عليه فيبحث عن هذا السر الذى وقر في صدره ليتلقى منه مايفيض عليه منه من حضرة الوهب مما تقبله قابليته فقد وقر فى صدره رضي الله عنه ما اقتضى تفضيله على غيره ممن اكثر الصلاة والصيام ممن ثبتت لهم الصحبة وليست صحبتهم كصحبته لكونه سبقهم فى تحصيلها والفضل للمتقدم فى الشئ طبعاً وشهدله الحق بها ولم يشهد

بها في القراءة لغيره وان كان أخبر صلى الله عليه وسلم بثبوت صحبة غيره ايضاً ولكن ذكره في القرآن فيه مزيد تنويه وقد يصح ان يقال فيما وقر في صدره هو السر الذي ناله بانفراده بالرسول عليه السلام في الغار فاطلع على مالم يطلع عليه غيره في تشريكه في نون الخطاب في مقام المعية بقوله ان الله معنا وأمره بعدم الحزن فان تلك المعية مما لا يدرك لا بصلاة ولا بصيام فكان من نتائجها سماع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته في ذلك المقام الذي زالت عنه الوحشة به وفي ذلك لابي بكر كمال المزية وتمام التنويه بشأنه في ذلك المقام الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك ان للمذكور في ذلك المقام حظاً من المواهب المفاضة على الموهوب عليه فياما أعظم هذه المزية التي حصلت لابي بكر رضي الله عنه في حضرة التداني فكان حاضراً بالذكر في مقام لم يكن بين الله وبين رسوله ذكر غيره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا كله من سر أمر الروح المنوط بارتباط التعارف بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين صاحبه المذكور بمقتضى الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف فكان تعارف أبا بكر في عالم الارواح بالتقابل الحقاني حتى تجلت صورته في صفاء مرآة ايمانه فكان في كمال الائتلاف من ذلك المشهد حتى برز للوجود طبق ما كان وقد حصل ذلك التعارف لغيره أيضا ولكن لابي بكر تمام المقابلة من

غير أدنى انحراف ولو كانت العصمة لغير النبي من البشر لكانت لابى بكر بما وقر في صدره من حين التعارف الروحاني الى وجوده الى انتقاله لدار البقاء ولكن له تمام الحفظ الذى لم يكن لغيره قبل الاسلام وبعده بما أعظم قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصاله به دنيا وأخرى وذلك من سر ماوقر فى صدره رضي الله عنه وها هنا ترجمة نعبر عنها بقولنا

الهام فى رفع ابهام ودفع ايهام

اعلم ان امر الرب اذا أنيط بالمحال صيره غير محال لانه يوجده بعد ان لم يكن موجوداً وكل مايوجد فهو داخل فى حيز الامكان ولهذا لا يتصور في العقل الا ماله مثل وكل ماله مثل فهو مخلوق لانه أنيطت به كلمة التكوين التى هى الروح ولذلك وجد فى دائرة الخيال ماله مثل ولا يمكن أن يوجد فيها مالا مثل له لان الفكر لو اتسع كيف ما اتسع ماتجاوز تصور المخلوق وكل ما ادركه فهو مخلوق ولا قدرة له على ادراك الخالق ولا يمكنه الوصول لحقيقة ذاته أبداً ولذلك لا تتعلق بالواجب الوجود كلمة التكوين ليوجد لكونه موجوداً والعقل هنا معقول عن تصور تلك الحقيقة ليتصور مثلها فيكون للحق مثل تعالى الله عنه علواً كبيراً

وكل مايخطر في خيالك   فربنا مخالف لذلك

لان مايخطر بالبال حادث والحق تعالى قديم ودائرة الخيال لاتسع القديم مع اتساع مجالها لكونها متناهية فتفيد الحصر بالتقييد ووسعه قلب المؤمن لعدم تقييده بقيد الحلول ولاتساع دائرة الخيال فى مجالها كل ما يمكن التصور فتقبل التصورات الفكرية ولو كانت وهمية لاحقيقة لها فى الخارج فانها تتكون هناك بمجرد خطورها على الفكر لاناطة أمر الرب بها ولو لم تكن كلمة التكوين منوطة بها ماخطرت بالبال فما يصوره المشرك من وجود الشريك مع الحق هو فى زعمه موجود فوجد عنده طبق ماتخيله لانه بمجرد تخيله أنيطت به كلمة التكوين فكان على وفق هواه وان كان لاحقيقة له وما لاحقيقة له لايوجد أصلا فلا وجود للشريك بالحقيقة لعدم وجود حقيقته التى يتنزل عليها لفظ الشريك الا غلطاً أو استغراقاً فى الجهل بالخالق الذى لاتدرك حقيقة ذاته حتى يكون هناك مثله فتخيل المشرك لوجود الشريك اما لجهله أو تعنته أوغلطه بالتفكر ولذلك لاينبغى التفكر فى الخالق كيف هو وانما المطلوب التفكر فى المخلوقات خشية الغلط لان العقل معقول عن الوصول لما ليس بمخلوق لكونه حادثاً والحادث لايتفكر فى واجب الوجود القديم فالجهل بحقيقة الحق كمال فى حق من لم يدخلها فى دائرة الخيال لان كل مخلوق له مثل بكمال المثلية موجود في هذه الدائرة الخيالية

يراها بحاسة البصر بالمشاهدة من دخل الارض السمسمة وهى موجودة ولربما تمدد المثل الخلق فيها لاتساع دائرة فضل الحق بمقتضى وان من شيء الا عندنا خزائنه وقد دخل هذه الارض جماعة من العارفين منهم الشيخ الاكبر ابن عربى الحاتمى فوجد هناك مثله ذاتاً واسماً وصفة بمعارفه وجميع أحواله وهذه الارض اعتقاد موحديها مثل اعتقاد الموحدين الخارجين عنها فان الحق تعالى لامثل له عند الجميع ولكونه لامثل له كان هو المستحق للعبادة وهو الآله على الحقيقة وكل آله دونه فهو باطل وان عبد من دون الله ولا يعبد الآله الباطل الا جاهل ، وأما المتعنت فهو لا يعبده لتحققه ببطلانه كما هو الواقع من حال ابليس وفرعون ومن شاكلهم فهم مقرون بالآله الحق ولكن لتعنتهم ادعى الالوهية منهم من ادعاها وجعل معه الشريك من جعله مع ان حقيقة الآله المعبود بالباطل والشريك المجعول مع الحق متبرئة مما نسب له من الالوهية والشركة بلسان الحال ولكن لايرى ذلك الا المفتوح عليه فيشهد بيراءته حقاً ومع ذلك فيعم هذا المتبرىء ان لم يكن متبرئاً بلسان المقال مصيبة ذلك المشرك الجاهل والمتعنت فيساق معه الى دار العذاب ليزداد الكافرون به عذاباً على عذاب لانهم بالنظر الى وجود معبوداتهم وشركائهم معهم تطول حسرتهم لتحققهم بما تجلى لهم من معرفة

الحق الحقيقى المستحق للعبادة فانهم كانوا على ضلال فينتقم الحق من نفسهم لنفسهم ولمصيبة آلهتهم بهم فيدعو الشكل على الشكل بالثبور ولولا التجلى المنوط باسم المضل ما كان هناك آله باطل ولا شريك عاطل فاشتبه الامر في دار الدنيا على المقضى عليهم بالضلال فجعلوا معه آلهة وشركاء وكل آله غير الحق فليس بآله فلذلك نزلت الآلهة المعبودة منزلة المعدوم فتساط على المنفى فى كلمة التوحيد النفى فانتفى المعبود بالباطل وبالحق ظاهراً ثم ثبت المعبود بالحق بأداة الاستثناء التى ظهر بها فى النطق ولولا التعجيل بالاستثناء لكان الناطق بلا آله دهرياً أو منكراً للمحسوس من شهود آلهة كثيرة وكل واحد منها عند عابده معبود بحق ولذلك عبده فاشتبه الحق بالباطل بتجلى المضل لانه يطلب الضالين وهم كثيرون فدخل النفى ليذهب بغير ما يثبته الاستثناء للموحد الحقانى في النطق والا فهو فى الخارج ثابت ولو عمه النفى ولولا عصمة المخبر لكانت قضية من القضايا المحتملة للصدق وقد أيد البرهان مضمونها فانتفى الكذب وبهذا كان تفسير الآله بقول من قال المستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه تفسيراً اصطلاحياً ليندرج تحته ما وجب اعتقاده فى الآله الحق وهو تفسير حسن لو كان في اللغة العربية موضوعاً لهذا المعنى ، وليس قصد الشارع صلى الله عليه وسلم الا تبيين الحق المعبود

بالحق لقومه بلسانهم فتفسير الا آله بقول من قال المعبود بحق هو الموافق للغة القرآن والمقصود بالمعبود بالحق ماهو عند الله حق لا ماعند العابد لان كل عابد ماعبد معبوده الا بحق في زعمه وهو عند الله غير معبود بحق فبطلت ألوهيته بالنفي وثبتت ألوهية الحق بالاستثناء لانه هو المستحق للعبادة لانه غير مخلوق فلم تتعلق به كلمة التكوين الا من حيثية الامر الصادر منه وغيره تعالى وجد بهذا الامر وهو الروح فالروح من أمر الرب القديم وهي حادثة عندنا خلافاً لمن جعلها رباً وهي طائفة من الضالين وتبعهم على ذلك بعض الجهلة من غلاة المتصوفة فقالوا ان الله هو الروح وكل ما كان ذا روح فتلك الروح ممتدة من الروح الحق وهو اعتقاد باطل عاطل لان الحق أمر نبيه عليه السلام أن يقول الروح من أمر ربي والامر بلاشك من الرب غير الآمر فاتضح بحمد الله ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم الروح من أمر ربي جواب مسكت لسائليه مع المحافظة التامة على عقول المخاطبين لكونهم خاطبهم على قدر مايفهمون وهو مفيد ان الروح غير الرب وانما هي من أمره لا آله الا هو وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

فهذا بعض ما اشتملت عليه تلك السطور المكتوبة في أول تلك الرسالة المنامية وحصلت عليه بجولان الفكر فيما علق بحافظتي منها وتذكرته بعد ما استيقظت فكتبته على حسب مافهمته وها أنا

وجهته اليك من غير تنميق فى العبارة ولا تنقيح وان كان يحتاج فيه لزيادة التوضيح لاشتماله على أمور لا تقبلها عقول العامة فما كان هنا مذكوراً مما ينكر فانما ذكرناه حكاية لما اشتملت عليه الرؤيا المنامية وهى من جولان الروح في ميدان الخيال والحق تعالى هو المنفرد بالكمال

توقيع بصدور أمر فى واقعة أخرى منامية

بعد كتبى لما ذكرته فى الرؤيا الاولى رأيت اليوم رؤيا ثانية والله شهيد فيما رأيته بعد اعادة النظر فيما اشتمل عليه جوابك المشار له عثرت فيه على عيون مسائل لو أمكننى أن أكتب فى موضوعاتها لاحتجت الى مجلدات ولكن الاشغال عندى قد عمرت فضاء الفراغ فلم يتأت لى كتب ماورد على من المعارف التى اقتطفتها من أفنان فنون هذا الجواب المشتمل على ماطاب واستطاب وقد جالت النفس فيما ذكرتم فيه من مسألة القيام عند الوضع الشريف فى قراءة المولد المنيف واستحسنت ذلك غاية فشاهدت فى عالم الخيال انى بجامع القرويين بفاس ومعى من رأيت بنفسى فى تلك الرؤيا أتذاكر معه والغالب على الظن أنك هو ومعنا أحد قضاة فاس ممن ينكرون عمل المولد وقراءته فاحرى القيام فيه وكأنّ قائلا يقول لى قد صدر الاتفاق بقراءة المولد الشريف بالقيام وسيجرى به العمل من أول رجب الفرد

القابل فى هذه السنة فصرت أتأمل كيف يجرى العمل بهذا الاتفاق من رجب ورجب قد مضى ونحن فى شهر رمضان وفى حال الرؤيا تخيل لى اني فى شهر رمضان ومع ذلك فان رجب لم يمض فى تلك الرؤيا فقال القاضى المذكور أما أنا فاني لاأقرأه الا بالجلوس بدون قيام فقلت له حيث صدر الامر بالقراءة بالقيام فلا بد من قراءته كذلك ومن القيام عند الوضع ومن لم يقم فلا راتب له فاستيقظت وأنا مصمم على القول بالقيام فجرت على لساني هذه الابيات بارتجال وهى

صدر الامر بالقيام فكن تظـــــهر حال القيام حسن امتثال
لا تقل بدعة قد ابتدعوها فدعوها وقم باحسن حال
فلقد عدت للصواب بقولى قم كعود المصيب بعد الضلال
كل ما صح عن أحاديث نهى عن قيام فليس فى ذا المجال
لم يرد أبداً حديث بنهى عنه فى المولد العديم المثال
والاحاديث كلها ليس فيها ذكر مولده بغير احتمال
فاذاً فالقيام لانهى عنه فى مقام قصدته بمقالى
فاحترم ما ذوو العلا احترموه سيما ما به اعتنوا باحتفال
كيف لا وهو منك دال على حـــــب الرسول وذاك عين الكمال
فعليه السلام يشمل كل الآل والصحب دائماً والموالى

❊ وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ❊

❊ قاله وكتبه عبد ربه احمد سكيرج ❊

أمنه الله